مبدأ التطهير المسيحي وتمثلاته في فن الطباعة الخشبية في العصور الوسطى

The principle of Christian purification and its representations in the art of medieval woodblock printing

أ.م.د. ازهار كاظم كريم

جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة / قسم التربية الفنية

Dr.Azhar Kazem Karim

University of Babylon / College of Fine Arts / Department of Art Education

Kadhimazhar80@gmail.com

ملخص البحث :

يتألف البحث الحالي من أربعة فصول، أهتم الأول منها ببيان مشكلة البحث والتي تحددت بالإجابة عن التساؤل الآتي: ما هي تمثلات التطهير المسيحي في فن المطبوعات الخشبية في القرون الوسطى ؟

وأهمية البحث والحاجة إليه ثم هدف البحث المتمثل في –تعرف تمثلات مبدأ التطهير المسيحي في فن المطبوعات الخشبية في العصور الوسطى

ثم حدود البحث وتحديد المصطلحات ، فيما اشتمل الفصل الثاني على مبحثين هما :

المبحث الأول : مفهوم التطهير في الدين والفلسفة

المبحث الثاني : فن الطباعة الخشبية الأوربي في العصور الوسطى

ثم المؤشرات التي انتهى إليها الإطار النظري ، وشمل الفصل الثالث إجراءات البحث المتمثلة في مجتمع البحث ، وعينة البحث ، وأداة البحث ، ومنهج البحث، ثم تحليل عينة البحث البالغة(5) نماذج من نتاجات الطباعة الخشبية الدينية في العصور الوسطى في أوربا

أما الفصل الرابع فاحتوى على نتائج البحث ومنها :

1- تميزت معظم الطبعات الخشبية للعصور الوسطى بالإيحاء بوجود البعد الثالث والعمق المكاني وتجسيم التفاصيل عن طريق الظلال في شكل خطوط متجاورة واستغلال المساحة لكراهية الفراغ في العمل الفني .

2- تسعى الكنيسة لغرس أفكار التلبس الشيطاني في عقول الناس لإبعادهم عن الرذيلة والخطايا بوصفها وحي شيطاني يجعل الإنسان يخسر نفسه أمله في الخلاص الأبدي عند الحساب إذا تبع ملذاته وأهوائه في الحياة الدنيا .

الاستنتاجات :

1- الطبعات الخشبية خطاب ديني واضح موجه لعامة الشعب البسطاء في القرون الوسطى ذو وظيفة تبشيرية توجيهية لإبلاغ محتوى ديني عقائدي بلا تفاصيل معقدة على الفكر .

وكذلك التوصيات والمقترحات وفهرس مصادر البحث وملخص البحث باللغة الانكليزية.

الكلمات المفتاحية: التطهير – الطباعة الخشبية – العصور الوسطى

Summary:

The current research consists of four chapters, the first of which is concerned with the statement of the research problem, which was determined by answering the following question: What are the representations of Christian purification in the art of woodblock prints in the Middle Ages?

And the importance of research and the need for it, then the research goal represented in - identifying the

representations of the Christian purification principle in the art of woodblock prints in the Middle Ages

Then the limits of research and definition of terms, while the second chapter included two sections:

The first topic: the concept of purification in religion and philosophy

The second topic: the art of European woodblock printing in the Middle Ages

Then the indicators that the theoretical framework ended with, and the third chapter included the research procedures represented in the research community, the research sample, the research tool, and the research methodology, then the analysis of the research sample amounting to (5) models of religious woodblock print productions in the Middle Ages in Europe

As for the fourth chapter, it contained the results of the research, including:

1-Most of the woodblock prints of the Middle Ages were distinguished by suggesting the presence of the third dimension, spatial depth, embodiment of details through shadows in the form of adjacent lines, and the exploitation of space to hate the void in the artwork.

2-The Church seeks to inculcate ideas of satanic deception in people's minds to keep them away from vice and sins, as

it is a satanic revelation that makes a person lose himself and his hope for eternal salvation at the reckoning if he follows his pleasures and whims in this worldly life.

Conclusions:

1-The woodblock prints are clear religious discourse addressed to the common people in the Middle Ages, with a missionary and directive function to convey doctrinal religious content without complicated details of thought.

As well as recommendations and proposals, an index of research sources, and a summary of the research in English

Keywords: purification - woodblock printing - the Middle Ages

الفصل الأول

مشكلة البحث :

تنقسم أفكار ورغبات وسلوكيات الإنسان بين مفهومي الخير والشر فأما ان يسير في طريق الإيمان بالحق والعدالة والفطرة البشرية التي وضعها الرحمن فيه ، وأما ان يتبع شهواته وغرائزه وطمعه ليسير في طريق الشيطان الذي يسعى لإفساد الناس وعصيان خالقهم العظيم ، وقد وجد هذا الصراع الأزلي منذ قديم الزمان ونبهت إليه معظم الديانات السماوية والوضعية ، غير ان قوى الشر في الشياطين والجن تظل تلاحق الإنسان وتراوده لتتمكن من السيطرة والاستحواذ عليه ، ومن هنا ظهر مفهوم التملك أو المس الشيطاني الذي يعني دخول الشياطين والجن إلى جسد الإنسان ثم ترفض الخروج منه إلا بالقوة الرحمانية والتعاويذ والنصوص المقدسة التي تندرج تحت مفهوم التطهير والذي يستلزم تدخل رجال الدين واستخدام اشد الطرق قسوة

وإصرارا لإجبار الشياطين على الخروج من الأجساد ، وقد عرفت الحضارات العراقية القديمة مثل هذه الطقوس التي يقوم بها متخصصون لهم خبرات وتجارب ومعرفة بالشياطين والجن ، وقد استمد الفيلسوف اليوناني أرسطو مفهوم التطهير من هذه الفكرة حيث أشار إلى ان الفن قادر على تطهير نفس المتلقي من العواطف المضطربة والقلق النفسي في صراعات الخير والشر عن طريق التطهير الذي يعني التنفيس المصحوب بالشفقة والخوف لتستقر نفس المتلقي في نهاية المطاف على طريق الخير والصلاح ، وقد ورد في الإنجيل المقدس ان السيد المسيح (ع) عالج رجلين ممسوسين ، غير ان الكنيسة طورت التطهير الديني إلى علم خاص يتضمن قراءة نصوص من الإنجيل ورش الماء المقدس وإطعام الممسوسين من الخبر والخمر التي ترمز إلى لحم يسوع ودمه لإقناع الشيطان بالخروج من الجسد أو إجباره عن طريق التعذيب والضرب والكي بالنار والتي قد تنتهي بالقتل لإتلاف الجسد المرتبط بالشيطان وإنقاذ الروح النقية ، وقد صورت هذه الممارسات الكنسية في أعمال فنية مبكرة من نتاجات فن الطباعة الخشبية في العصور الوسطى على صفحات المخطوطات أو في مطبوعات توزعها الكنيسة على الناس لهدايتهم وإخافتهم من تلبس الشياطين بأجسادهم لأنها مكمن الخطيئة حيث سعى الفنانون إلى تصوير جوانب مهمة من هذه الممارسات الدينية وتوثيقها في طبعات منفذة بطريقة حفر القوالب الخشبية ثم تغطيتها بالأحبار وطباعتها على الورق كجزء من الجهود التي يقدمها الفنانون خدمة للدين والمجتمع .

من هنا يمكن تلخيص مشكلة البحث الحالي بالتساؤل التالي : ما هي تمثلات مبدأ التطهير المسيحي في فن المطبوعات الخشبية في القرون الوسطى ؟

أهمية البحث والحاجة إليه :

1- يتتبع البحث الحالي نشأة وتطور مفهوم التطهير من الحضارات القديمة وتبلوره كممارسة دينية لطرد الشياطين في الديانة المسيحية .

2- يكشف البحث عن أنواع الممارسات الطقوسية للتطهير في الدين المسيحي .

3- يعرض البحث لنشأة وتطور فن الطباعة الخشبية وصولا إلى فنون العصور الوسطى في أوربا .

4- يفيد طلبة الدراسات الأولية والعليا في مجال فن الطباعة الخشبية وفن العصور الوسطى .

هدف البحث : تعرف تمثلات التطهير المسيحي في فن الطباعة الخشبية في العصور الوسطى.

حدود البحث : موضوعية : المطبوعات الخشبية الدينية في العصور الوسطى .

زمانية : 1220- 1450م

مكانية : أوربا

تحديد المصطلحات :

التطهير: لغة

التطهير(اسم) طَهَّرَ، نقى : وهو تَنْقِيَةُ النَّفْسِ (الفراهيدي، الخليل بن أحمد: 1972، ص 38) .

التطهير : تنظيف وإزالة الأنجاس والخبائث (نخبة الفقهاء: 2020، ص242).

اصطلاحا : التطهير (Catharsis)

- التطهير التنفيس عن النفس وتهذيبها من خلال عاطفتي الشفقة والخوف عن طريق الفن تغير حاد في العاطفة يؤول إلى تطهير النفس من العواطف الزائدة (حفناوي، بعلي،(حفناوي، بعلي: 2018، ص101)
- وعرف أرسطو التطهير في كتاب فن الشعر حين قارن فيه تأثير المأساة في عقل المتفرج بتأثير التطهير في الجسد (ارسطو: 2019، ص17).

التطهير المسيحي : الاندماج عن طريق الألم والعذاب الأليم للنفوس البارة بهدف التكفير عن الخطايا ، وتخليص الروح من آثام الجسد المادي الذي هو منبع الآثام ومسكن الشياطين (ايشو جورج: 2021، ص70) .

العصور الوسطى : تسمية تطلق على مرحلة زمنية في التاريخ الأوروبي امتدت من القرن الخامس الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، بدأت بانهيار الإمبراطورية الرومانية واستمرت حتى عصر النهضة ، وسيطرت فيها الكنيسة على كل نواحي الحياة في أوربا فانتشر الجهل والتخلف والانحطاط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي (البهجي، ايناس حسني: 2017، ص29) .

الفصل الثاني

المبحث الأول : مفهوم التطهير في الدين والفلسفة

شاعت فكرة تلبس الشياطين للناس ووسائل مواجهتهم في بلاد ما بين النهرين القديمة فوضعت الكثير من التعاويذ والطقوس السحرية لمعالجة حالات المرض وموت الأطفال والجنون عن طريق التمائم والتعاويذ الوقائية ، كما ظهرت شخصية الكاهن أو الساحر طارد الأرواح الشريرة الذي يدعى (سيبو) وهو شخص محترف يقوم بتأدية طقوس مجربة مع وجود جملة من الأدوات تحت تصرفه مثل التراب والماء المأخوذين من المعبد أو التراتيل الدينية وتكون مخصصة لقضية محاربة الشياطين وطرد الأرواح الشريرة التي يمكن ان تتخذ أشكالا وملامح مختلفة فكانت طقوس طرد الشياطين تعتمد على السياق المحدد لكل من الزمان والمكان (السعدي، حسين عليوي عبد الحسين: 2018، ص287).

من جانب آخر كانت البيوت العراقية القديمة مليئة بأنواع مختلفة من التمائم البسيطة والتماثيل ، المصممة غالبا للاستخدام المنزلي كحفظ الأفراد أو طرد الحسد أو زيادة الرزق مع أنواع مختلفة من التعاويذ الطقسية ، فيما كانت مهمة الساحر أو المعالج تتلخص في شفاء المرض أو العجز الجنسي أو حتى سوء الحظ وقلة الأرزاق التي يمكن أن تصيب الفرد ويقوم عادة بتوجبه عائلة المريض أو الممسوس لتقديم القرابين والنذور إلى الآلهة لكسب رضاها ومساعدتها في تطهير الأشخاص من الأمراض أو العلل التي تسببها القوى الشريرة أو من تلبس الشياطين لأجسادهم(الأحمد، سامي سعيد: 1975، ص6)

طرد الأرواح الشريرة (من اليونانية القديمة ملزم بالقسم هو ممارسة دينية أو روحية لطرد الشياطين أو الجن أو الكيانات الروحية الحاقدة الأخرى من شخص أو منطقة يعتقد أنها ممسوسة أو مملوكة للجن والشياطين ويتم تطهيرها اعتمادا على المعتقدات الروحية للكاهن الذي يمثل طارد الأرواح الشريرة والذي يمكنه القيام بذلك عن طريق جعل الكيان الشرير داخل الجسد المتلبس يقسم بتركه والخروج منه من خلال أداء طقوس متقنة أو ببساطة عن طريق أمره بالرحيل باسم قوة أعلى منه ، وفي حالة رفضه الخروج أو العصيان فان الكاهن يبدأ بممارسة التعذيب على الجسد لأنه مسكن الشياطين والجن حيث لا يمكنها الوصول إلى الروح التي تبقى نقية ، وكلما زادت وطأة التعذيب على الجسد كلما تألمت الشياطين داخله ورغبت في الخروج للإفلات من العذاب (بربارة، فؤاد جرجي: 2014، ص53)

وهذه الممارسة قديمة وجزء من نظام المعتقدات في العديد من الثقافات والأديان عبر التاريخ وفي معظم بقاع العالم تحتوي على تقاليد طرد الأرواح الشريرة ، وهي في اللغة اليونانية القديمة تسمى طقوس الاستحضار أو الطرد أو التطهير وتشمل مجموعة من الإجراءات التي تهدف إلى إزالة الاضطرابات النفسية أو الجسدية أو العقلية التي تعزى إلى وجود أرواح غير مرغوب فيها مجاورة للروح الأصلية عن طريق التعذيب ويمارس طرد الأرواح الشريرة في جميع أنحاء العالم ويمثل ، وقد وظف الفيلسوف اليوناني أرسطو مفهوم التطهير في فلسفته الجمالية حول وظيفة العمل الفني والتي تتلخص في تنقية أو تطهير العواطف من خلال إثارة الشفقة والخوف عن طريق الفن في المقام الأول (فارنتن، بنيامين: 1948، ص152)

ومصطلح التطهير (Catharsis) هو استعارة استخدمها أرسطو في الشعر لوصف آثار المأساة الحقيقية على المتفرج ، ويظهر في نسق التفكير الأرسطي نمط الاستخدام المشتق من المصطلح الطبي اليوناني لمصطلح التطهير حيث يرى أرسطو أن الغرض من المأساة هو إثارة الرعب والشفقة وبالتالي التمهيد لتنفيس هذه المشاعر أي تطهير النفس منها ، وقد ظل المعنى الدقيق لمصطلح التطهير موضوع نقاش نقدي

على مر القرون ، حيث رأى الكاتب المسرحي والناقد الأدبي الألماني ليسينج (1729-1781م) أن التطهير يحول المشاعر المضطربة إلى تصرفات فاضلة ، حيث يعمل الخوف والشفقة اللذين يثيرهما مصير البطل المأساوي على تحذير المشاهد من إغراء الشياطين له بفعل الخطايا وكان تفسيره للتطهير يأتي من خلال تجربة الخوف بشكل غير مباشر في موقف خاضع للرقابة إذ يتم توجيه مخاوف المشاهد إلى الخارج ، فتكون المأساة ذات تأثير صحي على المتلقي (ترحيني، فائز: 1988، ص97).

يكتب أرسطو أن وظيفة المأساة هي إثارة مشاعر الشفقة والخوف والتأثير على هذه المشاعر. استخدم أرسطو مصطلح التطهير بمعنى التنقية ، وقد فضل أرسطو الاستعارة الطبية لمفهوم التطهير للدلالة على التأثير المرضي على الروح كونه مشابه لتأثير الدواء على الجسم ، كما يؤكد أرسطو ان الانفعال الديني يمكن إثارته بإيقاعات معينة تثير الهيجان الديني وتسبب اضطرابا نفسيا وروحيا (كولرهانس، صائد: 2017، ص118).

ورد في الفكر المسيحي ان السيد المسيح (ع) قام بمعجزة عظيمة حين أمر الأرواح النجسة أن تخرج من رجلين ولكن الشياطين لم تطع أمر المسيح في الحال ولم يحاول المسيح أن يجبرهم على الخروج من الرجال على الفور إذ ربما لن يتمكن الرجال من النجاة من طرد الأرواح الشريرة بالقوة فقد تسبب طرد الأرواح الشريرة في حدوث تشنجات في الرجلين لذا فانه عاد واستخدم قوته العظيمة لإخراج الشياطين من الرجلين ولكن باهتمام حكيم ولطيف وحذر (انجيل، متى: 1998، ص28-34)

في مجتمع العصور الوسطى ، كانت إحدى الوظائف الرئيسية للقديسين والكهنة الكبار هي أشفاء الناس على غرار فعل السيد المسيح (ع) الذي كانت لديه القدرة على علاج المرضى ، لذا صارت تعوى إلى القديس في العصور الوسطى القدرة على أداء معجزات الشفاء ، وشكلت مسالة طرد الأرواح الشريرة مهمة مركزية بالنسبة للواجبات العلاجية في ممارسة طرد الأرواح الشريرة فيما مثل جسد

الشخص الممسوس نوعا من ساحة معركة بين قوى الخير والشر وكل فعل طرد أرواح قام به القديسون كان يعد جزءا من الصراع الأبدي بين الله والشيطان (ناظم، عباس: 1996، ص101)

ان سبب لجوء القديسين والكهنة إلى تعذيب الممسوسين يرجع إلى عدم رغبة الشيطان في ترك الجسد قبل استدعاء قديس معين وهو ما تعده الكنيسة دليلا خارقا للطبيعة على سلطتها على قوى الشر ، وفي معركتهم ضد الشياطين يستخدم القديسون ثلاثة من أكثر الوسائل الشائعة للشفاء المعجزة وهي (الصليب والصلاة والماء المقدس) إذ ان الشياطين تحترق بالماء المقدس المستخدم من قبل الكنيسة في غسل الموتى ، كما كان يتم استخدام بعض الوسائل الأكثر قسوة مثل ضرب الشيطان في حين أن الضربات كانت بالطبع موجهة إلى جسد الإنسان ويصاحب عمليات الضرب تقطير الماء المقدس على شفاه الضحايا في بعض الأحيان يكون الشخص الممسوس مغمورا في حوض ملئ بالماء المقدس (الراهب، ثيماوثوس، 2015)

ويركز القديس المعالج على الحوار مع الشيطان الذي يتحدث من خلال الممسوسين فتكون كلمات الشيطان هي كلمات حوارية ، كما يمكن ان يتجلى رد فعل الشيطان بطرق مختلفة حيث يقوم بالسخرية من أساليب طرده ويسخر من القديس ويقوم بشتمه والبصاق عليه وفي مثل هذه الحالات كان القديس يوصي بتشديد العذابات ويضرب جسد الشخص بالسياط القاسية وغالبا ما كان القديسون يصرحون بان لدى الضحايا أكثر من مجرد شيطان واحد ففي هذه الحالة تصبح الطقوس معقدة للغاية ، كما كانت إحدى المشكلات الرئيسية التي كان على القديسين مواجهتها أثناء طرد الأرواح الشريرة هي كيفية منع الشيطان المطرود من الدخول مرة أخرى إلى جسد الممسوس ، وكلما اشتد القتال مع الشيطان كانت النتيجة أفضل ، وان وسائل التعذيب تشتد قوة على أمل ان تجعل الحياة في جسد الضحية لا تطاق بالنسبة للشيطان (اليسوعي، الأب صبحي حموي: 1994، ص290)

وبالنسبة للكنيسة المسيحية كان تطهير الناس من الشيطان يعني في المقام الأول القتال مع الشيطان ويجري اعتبار الضحية كما لو كانت ساحة معركة بين القوى الإلهية والقوى الجهنمية لذا كان الكهنة يبرعون في ابتكار وسائل التعذيب الشديد الذي لا يمكن للجسد البشري تحمله ، وحين يصل المعالجون إلى قناعة بعدم إمكانية إخراج الجن أو الشيطان أو عدد من الشياطين من جسد الإنسان كانوا يقررون التخلص من الجسد لكي يتم تحرير الروح المسيحية النقية من اسر الشيطان ، فكان يتم حرق الضحية بالنار الملتهبة مع قراءة نصوص من الإنجيل لكي لا تتأثر الروح بالحرق ولكي يعلم الشيطان انه لن ينجح أبدا في محاربة رجال الدين المتسلحين بالإيمان والإنجيل وقوة الكنيسة ، وبذلك تكون حياة الضحية لا قيمة لها في سياق هذا الصراع المقدس بين الإيمان والشياطين (القمص ، ميخائيل جرجس، 2010، ص375)

وتؤكد مدونات القرون الوسطى انه تم إجراء عمليات الحرق وقطع الرؤوس أو شق البطون واستخراج القلوب من الضحايا كحل أخير لإخراج الشياطين من أجسادهم ولتحرير الأرواح النقية من هذه الأجساد المسكون بالشر والتي قد تتشوه وتتغير سماتها أو تصبح ملامحها بشعة مخيفة أثناء تلبسها من قبل القوى الشريرة ، فيما اعتبرت الكنيسة ان نجاح عمليات طرد الأرواح الشريرة ولو عن طريق القتل كانت تثير الرعب لدى الناس وتدفعهم نحو الفضيلة والإيمان وهي مفيدة في تجنيد مؤمنين جدد لدين المسيحية بفضل طرد الأرواح الشريرة بصفتها معركة مرئية يمكن رؤيتها واقعيا بين مراجع خارقة للطبيعة (فيليب، كامل: 2012، ص39-40) .

في العصور الوسطى في أوربا أصبح طرد الأرواح الشريرة شائعا بقوة في أوساط المجتمعات الفقيرة والفلاحية والمشردين ، فكان تغير صوت الشخص يعد علامة على التلبس الشيطاني لان الشيطان أصبح يتكلم بصوته الخاص عن طريق لسان الشخص الممسوس ، وهنا كان لابد من عمليات التطهير التي تبدأ من الحواريات ورش الماء المقدس وتنتهي بالشنق أو الحرق أو شد الجسد بالآلات الميكانيكية وتقطيع أوصاله أو

تدويره على عجلة معلقة في الهواء من اجل إزعاج الشيطان الساكن فيه (مجدي، صادق: 1997، ص39-40)

وقد ثبت تاريخيا انه تم إجراء طرد الأرواح الشريرة على أفراد كانوا يعانون من مشاكل فسيولوجية أو نفسية طبيعية وليس لأولئك الذين يعانون من مشاكل أخلاقية نتيجة لتأثير الحيازة الشيطانية ، حيث كان يعتقد أن تأثير الشياطين كان طبيا جسديا محضا يتجلى في شكل أمراض فسيولوجية أو سلوكيات مدمرة وعزلة ذاتية تظهر غالبا كمواضيع للعلاج الديني المسيحي ، وبوجه عام فقد كان المسيحيون ينظرون إلى مختلف المشاكل الطبية على أنها نتيجة لخطيئة معينة ، ولم يتم التفكير خلال القرون الوسطى على أنها أنواع من المشكلات الطبية التي لا يمكن تخفيفها أو شفاؤها بواسطة الصلاة والتعذيب من أجل النجاة وطرد الأرواح الشريرة ، وعلى المستوى الاجتماعي العام يربط طرد الأرواح الشريرة بالتطهير الأخلاقي الذي يتحقق من خلال نبذ المرء للإغواء والتأثير الشيطاني (طربيه، جيزل فرح: 2004، ص118).

المبحث الثاني : فن الطباعة الخشبية الأوربي في العصور الوسطى

بدأ تاريخ الطباعة بحدود 3000 قبل الميلاد على ارض العراق القديم عندما اخترع السومريون الأختام الأسطوانية التي تستخدم للمصادقة على المستندات المدونة على ألواح الطين وكانت تقوم على فكرة نقل الشكل الذي يمثل الطبعة الموجبة من حفر غائر يمثل القالب السالب ويحفر على اسطوانة حجرية صغيرة تحمل رسوما وعلامات خاصة بكل فرد وتمثل ختمه الشخصي المميز (الحسيني، اياد حسني: 2008، ص24).

ختم اسطواني سومري

وقد ظهرت أولى أشكال الطباعة الخشبية على الأقمشة والورق في الصين بحلول القرن السابع خلال عهد أسرة تانغ ، مما أدى إلى انتشار إنتاج الكتب وطباعة القوالب الخشبية في أجزاء أخرى من آسيا مثل كوريا واليابان (الرفاعي، عبد الجبار: 1993، ص19)

والطباعة بواسطة القوالب الخشبية هي تقنية طباعية يقوم فيها الفنان بحفر صورة على سطح من الخشب ثم يقوم بنقل الأشكال من السطوح البارزة وتصبح السطوح الغائرة غير داخلة في العمل الطباعي حيث ينشر الفنان الحبر على وجه الكتلة ويطبع على الورق أو القماش باستخدام ضغط منخفض ، وعادة ما تتعرض القوالب الخشبية إلى التلف بنسبة أقل من لوحات الطباعة النحاسية ، ولها طابع مميز باللون الأسود على الورق الأبيض كما يمكن استخدام الألوان في هذه الطباعة باستخدام عدة قوالب لنفس التصميم المطلوب (كامل ، محمد : 1994، ص53)

وقد شاع أولا استخدام القوالب الخشبية المحفورة في الطباعة على القماش حيث يرجع تاريخ أقدم الأمثلة الباقية من الصين إلى ما قبل سنة 220 ميلادية ، فيما ظهرت الطباعة الخشبية على الورق في الصين خلال عهد أسرة تانغ بحلول القرن السابع الميلادي وظلت هي الطريقة الأكثر شيوعا في شرق آسيا لطباعة الكتب والنصوص الأخرى وكذلك الصور والتي ما لبثت ان انتقلت إلى اليابان وتعد أشهر أنواع المطبوعات الفنية اليابانية هي المنفذة على قوالب خشبية برع فيها اليابانيون وأولوها اهتماما خاصا في مجال فن تصوير المناظر الطبيعية والأشكال الزخرفية والكتابات المدرجة إلى جانب الرسوم المطبوعة (كامل، محمد: 1994، ص39).

وقد شاع استخدام الطباعة الخشبية في أوروبا بدايات القرن الثالث عشر الميلادي إذ انتشرت الطباعة الخشبية عبر آسيا حتى وصلت أوربا بحلول عام 1000 بعد الميلاد حيث أمكن العثور على بعض نماذج الطباعة الخشبية في الإمبراطورية البيزنطية بحدود سنة 1220م ، ثم أصبحت الطباعة على القماش شائعة في أوروبا

بحلول عام 1300م في القرن الثالث عشر الميلادي (احمد، عطية الله: 1975، ص199)

(وقد شاعت الطباعة على الجلود والحرير والأقمشة ، لكن جميع هذه المواد لم تكن مناسبة للطباعة أو أنها غالية الثمن ، وقد بدأت صناعة الورق في الصين ثم انتقلت عن طريق العرب إلى اسبانيا ومن ثم انتشرت في أوربا في القرن الثاني عشر الميلادي وقد أصبحت صناعة الورق مألوفة في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي) (عبد اللطيف، سلمان: 2016، ص20-21)

فقد تم استخدام قوالب خشبية مماثلة في العصور الوسطى من قبل كتاب العدل وغيرهم من الموظفين العموميين لطباعة التوقيعات على المستندات ومن قبل صانعي الملابس الايطاليين لإضافة الألوان على الحرير والأقمشة الأخرى ومن قبل مزخرفي المخطوطات لطبع الخطوط العريضة للحروف الأولية التي تبدأ بها العبارات المكتوبة في النصوص والتي تكون كبيرة الحجم ومزودة بزخارف تحيد بهذه الحروف (سيد، رشيد احمد: 1966، ص130)

وفي حدود النصوص المدونة في أوربا فان الحقيقة المعروفة على وجه اليقين من تاريخ النقش على الخشب هي أنه في الربع الأول من القرن الرابع عشر كانت هناك مطبوعات غير منمقة بشكل تام موزعة في شمال أوروبا تمثل مشاهد من الكتاب المقدس وحياة القديسين ، وكانت هذه الصور تطبع على ورقة واحدة ، وكانت الخطوط العريضة مطبوعة من قوالب خشبية منقوشة (Moser , Barry: 2006, p10)

ففي العصور الوسطى عدت هذه المطبوعات عالية القيمة من الناحية الدينية لأنها كانت في معظمها أعمال فنية وهي تحظى باهتمام كبير، إذ كانت هذه الصور الأولى التي حصل عليها عامة الناس على الإطلاق وأمكن نسخها بأعداد كبيرة لكي يتمكن المواطنون من وضعها في بيوتهم، ولا شك في أنها كانت تحظى بتقدير كبير على الرغم من بساطتها وخشونة مظهرها فقد اهتم بهم الفلاح الأوربي الفقير أو

الحرفي المتواضع في المدن الأوربية الناشئة أو حتى في القرى والأرياف حين أعطيت له من قبل الرهبان ، مثل الصور الخشبية المنحوتة بعفوية وبساطة مظهرية في الإرساليات التبشيرية التي ترسلها الكنيسة أو في رحلات الحج إلى الكنائس الكبيرة التي يقوم بها المواطنون للتكفير عن الذنب أو لطلب الخلاص (اسماعيل، سراج الدين: 2007، ص58)

وكان هؤلاء الناس يعتزون بها كتذكار ثمين أو لأنها تمثل تذكيرا بالمبادئ الدينية والمواعظ المسيحية ، وكان هناك نوع آخر من المطبوعات فيه صور وكلمات من الإنجيل تقدمها الكنيسة للأشخاص الذين يقدمون صدقات صغيرة لبناء كنيسة أو زخرفة ضريح وهي بمثابة وصولات مقدمة من الكنيسة كمكافأة للشخص المتبرع كمكافأة على تقواه وتتضمن غالبا صورة للقديس الذي سميت باسمه الكنيسة المزمع بناؤها (منصور، احمد: 2005، ص20)

وكان هناك نوع آخر من المطبوعات الخشبية تقوم مواكب الرهبان بتوزيعها في شوارع المدن الأوربية عندما تنظم مواكب كبيرة للتجول في البلدات المتقاربة ، وقد كان بعض هذه المطبوعات ملونة ببراعة فكانت ذات أهمية بالغة بين السكان الذين كانوا يعلقونها على الجدران المنخفضة لمساكنهم ، إذ لم تكن للتذكير بالتقوى فقط ، بل أنها تمثل حضورا ماديا للأشخاص المقدسين في منازل تظل ماثلة أمام أعينهم كل يوم لتذكرهم بواقع الحياة المقدسة والموت المقدس للمسيح والقديسين الذين يأمل الفقراء في شفاعتهم حيث يكمن الخلاص (باصمد، اقبال، 2017، ص5738)

وعلى الرغم من تطور الحياة الفكرية للطبقات الاجتماعية العليا كانت علمانية لكن هذه المشاعر والعادات المستمدة من العصور الوسطى سمحت بظهور الطبعات المقدسة واستمرار طباعتها وانتشارها دون تغيير حتى ظهور حركة الإصلاح على يد الراهب مارتن لوثر 1517م ، وهكذا استمرت ورش الرهبان والنقابات في اغلب المدن الأوربية الكبيرة في إصدار صور هؤلاء القديسين كما أطلقوا عليها بعد فترة طويلة

من التطور والارتقاء الفني بأنها أعمال فنية دينية راقية ونبيلة (إسماعيل ، سراج الدين: 2007، ص59)

وقد ظلت المطبوعات الخشبية وفقًا للروح التعبدية الزاهدة المستمرة من إيمانات القرون الوسطى الحقيقية تحفر وتطبع بدون اسم الحرفي أو حتى الاسم المستعار بل أنها ظلت غير مميزة بأي علامات شخصية ، بل تعمد الفنانون ان لا يكون فيها سمات فنية أو عملية مميزة كثيرة تسمح بإظهار الاختلاف في وقت ومكان إنتاجها ، باستثناء أن خطوطها في البداية كانت أكثر دائرية وتدفقًا بينما صارت بعد سنوات حادة الزوايا مع وجود الاختلافات البسيطة في اختيار ألوانها ودرجات إضاءتها(Margsret, Macnair: 1928, p27)

وفي العصور الوسطى شاعت صناعة أوراق اللعب وأوراق قراءة الحظ (التاروت) واغلب هذه المطبوعات الخشبية كانت قد رسمت باليد وزودت بحروف وعلامات مطبوعة بتقنية الأشكال المفرغة (الاستنسل) ثم سرعان ما أصبح تصنيع بطاقات القمار والمطبوعات المقدسة تجارة مزدهرة ، فأصبح تصدير هذه المواد إلى إيطاليا كبيرا لدرجة أن مجلس الشيوخ الفينيسي في ايطاليا اصدر مرسوما يعد أقدم وثيقة تتعلق بالنقش على الخشب في إيطاليا تمنع استيرادها إلى مدينة البندقية ، وذلك لان النقابة الخاصة بالمدينة كانت قد بدأت مشروعها الخاص لطباعة أوراق اللعب وأوراق التاروت فكان لابد من حماية هذا النشاط الاقتصادي في المدينة من المنافسة الأجنبية ، ومع ذلك فان الحفر والطباعة الخشبية باعتبارها عملية واحدة فقط في حرفة صانع البطاقات وصانع الطباعة ، قد ظلت بدون اسم مميز لفترة طويلة بعد اختراعها (احمد، محمد محمود سليمان: 1995، ص28)

في نهايات القرن الرابع عشر الميلادي احتل النقش على الخشب وهو أصغر فروع فنون التصميم ، بعد عصور من التاريخ الغامض وغير الملحوظ مكانة ثابتة وتم الاعتراف به باعتباره حرفة صناعية جديدة ، وكان اكتشافه في الفن موازيا لاختراع الطباعة في الأدب فقد مثلت الطباعة وسيلة بصرية مؤثرة لمضاعفة ونشر الأفكار

التي يعبر عنها الفن ، وخلق تقدير شعبي ومعرفة بالفن ولجعل التصميم الجميل في متناول مجموعة أكبر من الجماهير الشعبية البسيطة (احمد، محمد محمود سليمان: 1995، ص30)

وبذلك فقد ملأت الصورة فراغا عقليا وروحيا كبيرا في الحياة في العصور الوسطى فلم يكن الأمر مجرد أن اللوحات على جدران الكنائس تنقل مفاهيم أكثر نبلا إلى الفلاح والحرفي مما يمكن أن يتشكل من خيالهم البطيء من كلمات الواعظ مثل الأطفال ، بل أنهم فهموا من خلال الصور وتعمق إيمانهم من خلالها وفكروا في جميع المبادئ العليا عبر تلك الصور بدلا من مجرد سماع الكلمات فقد صارت أفكارهم تصويرية وليست لفظية ، وبذلك كان الرسم في الأمور الروحية لغة مؤثرة حقا ويجري تصديقها بقوة لأنها مرئية بالعين (حمودة، فاتن شوقي: 2011، ص34)

ففي المستوى الثقافي المتدني للطبقات الأوربية الفقيرة لم يتمكن هؤلاء من التفكير ولم يكن بإمكانهم فهم البيانات والنصوص الفكرية بسهولة إذ لم يكن بإمكانهم تخيلها بوضوح ، بينما جعلتهم المطبوعات الخشبية قادرين على رؤيته وهذا ما يفسر الانتشار السريع للفن الجديد ، وشعبية وفائدة المطبوعات المقدسة التي استخدمت على نطاق واسع لنقل الأفكار الدينية وتأجيج المشاعر الدينية (حمودة، فاتن شوقي: 2011، ص34-35)

بهذا فان النقش على الخشب يظهر من البداية في دعوته الحقيقية كفن جماهيري في خدمة الشعب وكان تأثيره واسعا إلى درجة يمكن اعتباره من القوى العظمى التي استطاعت ان تحول العقل القروأوسطي إلى العقل النهضوي العلمي المتقدم ثم العقل الحديث كان النقش على الخشب في الوقت نفسه نتاج الرغبة في التغيير والجهد المبذول تجاهه وكانت الطباعة مرآة للحركة التطورية أكثر قيمة لأن الفن أصبح مرتبطًا بشكل وثيق بالحياة الشعبية أكثر من أي فن آخر ، لقد خدمت الطباعة في البداية مبادئ الديانة القروأوسطية لكنها قدمت فيما بعد مساعدة قيمة في

نشوء وتقدم الإصلاح ، حيث أنها جعلت أقدم الكتب المطبوعة أكثر جاذبية وأسهمت في تثقيف العين لإدراك الجمال (إسماعيل ، سراج الدين: 2007، ص61)

المؤشرات التي انتهى إليها الإطار النظري :

1- ظهرت فكرة تلبس الشياطين للناس ووسائل مواجهتهم في بلاد ما بين النهرين القديمة فوضعت الكثير من التعاويذ والطقوس السحرية على يد الكاهن أو الساحر طارد الأرواح الشريرة الذي يقوم بتأدية طقوس لطرد الأرواح الشريرة .

2- وظف الفيلسوف أرسطو مفهوم التطهير في فلسفته الجمالية حول وظيفة العمل الفني والتي تتلخص في تنقية أو تطهير العواطف من خلال إثارة الشفقة والخوف عن طريق الفن في المقام الأول من خلال تجربة الخوف فتكون المأساة ذات تأثير صحي على المتلقي .

3- ورد في الفكر المسيحي ان السيد المسيح (ع) قام بمعجزة عظيمة حين اجبر الشياطين على الخروج من رجلين مما تسبب في حدوث تشنجات فأخرجها المسيح باهتمام وحذر .

4- لجأ القديسين والكهنة إلى تعذيب الممسوسين واستخدموا (الصليب والصلاة والماء المقدس) مع تعذيب جسد الإنسان الذي قد يصل حد الموت أو القتل لإخراج الشيطان وتنقية الروح .

5- اخترعت الطباعة بحدود 3000 قبل الميلاد على ارض العراق القديم بالأختام الأسطوانية بنقل الشكل من حفر غائر يطبع على الطين ويحمل علامات خاصة بكل فرد تمثل ختمه الشخصي .

6- ظهرت أولى أشكال الطباعة الخشبية على الأقمشة والورق في الصين بحلول القرن السابع خلال عهد أسرة تانغ ، مما أدى إلى انتشار إنتاج الكتب وطباعة القوالب الخشبية في أجزاء أخرى من آسيا مثل كوريا واليابان .

7- في القرون الوسطى عدت المطبوعات الخشبية ذات قيمة دينية فجرى نسخها بأعداد وانتشرت في القرى والأرياف وهي طبعات خشبية بسيطة ترسلها الكنيسة ويتخذها المواطنون للتكفير عن الذنب أو لطلب الخلاص .

8- ملأت الصورة فراغا عقليا وروحيا كبيرا في العصور الوسطى عمقت إيمان الجمهور ونشرت المبادئ العليا عبر تلك الصور بدلا من مجرد سماع الكلمات فقد صارت أفكارهم تصويرية وليست لفظية ، وبذلك كان الفن في الأمور الروحية لغة مؤثرة حقا ويجري تصديقها بقوة لأنها مرئية بالعين .

9- أصبح النقش على الخشب فن جماهيري استطاع تحويل العقل القروأوسطي إلى العقل النهضوي العلمي بعد ان خدمت الطباعة مبادئ الديانة القروأوسطية ثم أسهمت في نشوء الإصلاح ، إذ جعلت الكتب المطبوعة جذابة أسهمت في تثقيف العين لإدراك الجمال .

الفصل الثالث

أولا – مجتمع البحث: بعد الجهد المبذول من قبل الباحثة في الاطلاع على الكتب والمصادر الفنية تمكنت من جمع (26) طبعة خشبية من نتاجات القرون الوسطى في أوربا حول موضوع التطهير وطرد الأرواح الشريرة تمثل بمجملها مجتمع البحث الحالي

ثانيا – عينة البحث :قامت الباحثة باختيار عينة بحثها بطريقة قصدية وبواقع (5) نماذج من نتاجات فن الطباعة بالقوالب الخشبية في القرون الوسطى والتي تصور موضوعات التطهير وطرد الجن والشياطين من قبل الكنيسة .

ثالثا – أداة البحث: اعتمدت الباحثة على المؤشرات التي انتهى إليها الإطار النظري بوصفها محكات لعملية تحليل عينة البحث .

رابعا – منهج البحث :اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي بطريقة التحليل

خامسا – تحليل العينة

أنموذج (1)

طبعة خشبية تبشيرية

1398م

17 X 9سم

الفنان مجهول

مكتبة متحف البرادو

مدريد \ اسبانيا

تمثل هذه الطبعة الخشبية كائنا غريبا ذو قرون متشعبة وعلى قمة رأسه تاج مكون من فصوص مثلثة رأسه وجسد عاري وقد غطت ساقيه الحراشف وأقدامه تشبه أقدام الطيور الجارحة وهو يمسك بيده اليمنى طفلا صغيرا يقوم بالتهامه بينما يمسك بيده الأخرى طفلا آخر يرفعه في الهواء وتظهر مجموعة أطفال عراة خائفين تحت قدميه فيما تظهر يمين الطبعة سيدة تقف قرب عمود البناية ترتدي ملابس الرهبان وهي ترفع بيدها القمقم الذي يوضع فيه الماء المقدس وهي تقوم برش الماء عليه لإبعاده عن الأطفال وعلى يسار اللوحة تظهر منقلة تشتعل فيه النيران ويتصاعد منها اللهيب وسحب الدخان ، والعمل يظهر بشاعة الشيطان وقدرته على التهام الناس مثل الطعام بأنيابه الطويلة البارزة ، بينما تجاهد الراهبة ذات الملابس الكهنوتية التي تغطي جسدها من رأسها حتى قدميها لإبعاده عن الأطفال وهي ترش عليه المياه المقدسة المجلوبة من الكنيسة لتخيفه لان الماء المقدس يتلف أجساد الشياطين ويدمر قواهم الشريرة ، والعمل الطباعي منفذ بتقنية مميزة ولمسات حفرية دقيقة مع محاولات واضحة لإظهار البعد الثالث وتجسيم بعض الأجزاء عن طريق الظلال المنفذة على شكل خطوط متجاورة كما ان الفنان سعى إلى استغلال المساحة الكاملة

للقالب الخشبي بإضافة العمود والمنقلة وسحب الدخان وهذه من خصائص فن القرون الوسطى الذي يكره مفهوم الفراغ في العمل الفني ، وهذه الأفكار التي تسعى الكنيسة لغرسها في عقول الناس لغرض إبعادهم عن الرذيلة والخطايا التي تفسر على أنها من وحي الشياطين وهي التي تجعل الإنسان يخسر نفسه ويخسر أمله في الخلاص الأبدي عند الحساب إذا أصغى لوساوس الشيطان واتبع ملذاته وأهوائه في الحياة الدنيا .

أنموذج (2)
طبعة خشبية كنسية
1403 م
الفنان مجهول
X16 7سم
متحف الفاتيكان \ايطاليا

هذه الطبعة الخشبية تصور مشهدا يجري في ارض مفتوحة خارج المدينة حيث يظهر في مقدمة اللوحة رجل قيدت يديه وأقدامه بقيود حديدية محكمة يجلس على الأرض بين رجلين الأول على يمينه يمسك عصا طويلة ويرفع يده اليمنى لتلاوة التعاويذ الدينية تحيط برأسه هالة القدسية والآخر على يساره يمسك سوطا للجلد والرجل الممسوس ممزق الثياب منثور الشعر وقد تغيرت ملامح وجهه فيمل يخرج من فمه شيطان عاري ذو قرون ، وفي عمت اللوحة مشهد آخر يصور شخص ميت تحيط به نساء نائحات على اليمين وعلى اليسار كاهن ذو عمامة يغادر المكان يتبعه تلميذان وثمة شجرتان تنبتان في تضاريس الأرض المتموجة ، والطبعة منفذة باعتماد تقنية الخطوط الدقيقة حيث يتم حفر مناطق كبيرة من الخشب والإبقاء على الخطوط الخارجية للأشكال ، كما يوظف الفنان رموزا دينية مثل الهالة وحركة أصابع الكاهن

الشائعة في المسيحية عند تلاوة التعاويذ ، وقد حاول الفنان التعبير عن الأبعاد المكانية باستخدام الخطوط وتعرجات الأرض وكذلك عن طريق التحكم بأحجام الشخوص القريبة والبعيدة ، وهذه الطبعة الفنية هي تحويل فني إبداعي لفكرة خيالية إلى واقع تصويري ملموس ذو تأثير كبير على نفوس وأذهان الناس عبر تخيل عمليات الجلد وخروج الشياطين من الجسم عن طريق الفم ، وكذلك موت شخص لم ترضى الشياطين بمغادرة جسده الأمر الذي يثير الصدمة في عقول الناس والخوف الذي ينتهي بحالة من التطهير الروحي ويزيد من إيمانهم بإمكانية الممارسات الدينية على شفاء الممسوسين والذين تتلبسهم الشياطين والجن بصورة تامة وفي نفس الوقت توثق الطبعة أساليب التعذيب والضرب التي يمارسها الكهنة على المرضى أو المجانين الذين كانت تنسب حالاتهم إلى التلبس الشيطاني في عصور كانت فيها علوم الأحياء والطب والصيدلة بغاية التخلف والانحطاط ان لم تكن معدومة تماما .

أنموذج (3)

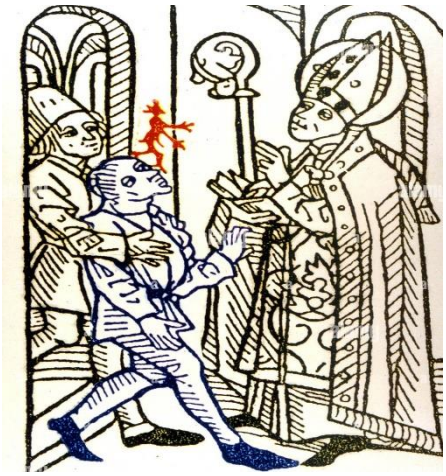

طبعة خشبية من مخطوطة

تاريخية عن البابا اينوسنت السابع 1404-

1406م

1405م

الفنان مجهول

12 X21سم

مكتبة الفاتيكان \ ايطاليا

يصور هذا العمل الطباعي أحداثا تجري داخل كنيسة فخمة من عمارة القرون الوسطى ذات مداخل كثيرة مقوسة حيث يقف كاهن كبير يرتدي قبعة البابا الأكبر الشهيرة ذات القمة المفتوحة من الوسط والمرصعة بالجواهر ويضع على كتفيه عباءة مزخرفة ومطعمة ، تغطي الرداء البابوي الفخم المزخرف بزخارف نباتية ، وهو

يحمل بيده اليمنى الصولجان ذو الرأس المكور الخاص بالبابا وهو صولجان ذهبي يمثل رمز السلطة الأعلى في المسيحية العالمية ، والبابا يحمل بيده اليمنى الإنجيل المقدس مفتوحا ويجمع أصبعيه ليرسم بحركة يده علامة الصليب على الرجل الممسوس الواقف أمامه الملون باللون الأزرق وقد كتفت اذرعه من قبل شخص آخر يقف خلفه ليحدد حركته وقد خرج من فم الرجل الممسوس شيطانا ملونا باللون الأحمر ، والطبعة مبسطة على مستوى تقنيات الحفر فهي قائمة على حفر مناطق واسعة لغرض إظهار الخطوط الخارجية للأشكال ، غير ان الفنان يركز عمله على بنائية المشهد داخل المكان حيث تحيط بالشخوص جدران ومداخل مقوسة للتعبير عن فخامة المكان المقدس الذي تجري فيه الأحداث ، كما يركز على جماليات الرداء البابوي المزخرف والمطعم بالأحجار الكريمة للإشارة إلى ثراء وعظمة المؤسسة الدينية المسيحية في القرون الوسطى ، كما ان الفنان يصور المشهد بدون علامات الضرب والجلد والتعذيب ليؤكد ان وجود الممسوس داخل الكنيسة وأمام البابا جعل عملية شفائه يسيرة واجبر الشيطان على الفرار مباشرة ، كما لون الممسوس بالأزرق لأنه مريض والشيطان بالأحمر رمز النار والخطيئة .

انموذج (4)
طبعة خشبية تبشيرية
1407م
الفنان مجهول
14X 8سم
مكتبة المتحف البريطاني

تصور هذه الطبعة الخشبية موقفا صادما حيث يظهر البابا الأكبر بقبعته ورداءه الشهيرين وهو يحاول ان يطعم الشخص الممسوس قطعة الخبز ويسقيه الخمر وهما رموز لجسد المسيح (ع) ودمه كما معروف في طقوس طرد الشياطين والشخص الممسوس يطير مرتفعا عن الأرض رغم وجود شخص ضخم يمسك به من خلفه فيما يخرج الشيطان من فمه ، والمشهد مصور داخل كنيسة فخمة تظهر فيها الأعمدة وهناك منضدة كبيرة عليها الكتاب المقدس مفتوحا وتمثال صغير للمسيح معلقا على الصليب على جانبيه شمعتان موقدتان ، فيما تظهر مجموعة من الشخوص الخائفين بشدة ينظرون برعب إلى الشيطان الأسود الخارج من فم الممسوس وسط دخان كثيف ينطلق نحو الأعلى ، وهذه الطبعة مشغولة بتقنيات حفرية دقيقة وعناية واضحة بتفاصيل المكان وتركيز شديد على عنصر التجسيم الدقيق للأشكال وطيات الملابس وعنصر الحركة العنيفة الظاهرة على البابا والممسوس وكذلك الشخوص المرعوبين في خلفية المشهد التصويري ، كما اهتم الفنان بملامح البابا المعبرة عن الإيمان ، وملامح المجنون ، وملامح الخوف والهلع على المتفرجين الحاضرين في الحدث ، وهؤلاء الشخوص يعبرون عن جمهرة الناس البسطاء المؤمنين بقوى الراهب والكنيسة من جانب ويؤمنون بقوة الشيطان وسلطانه على البشر من ناحية أخرى لذا فهم يقفون مبهورين لمشاهدة هذا الصراع القوي بين الإيمان والعزيمة في مواجهة الكفر والخطيئة .

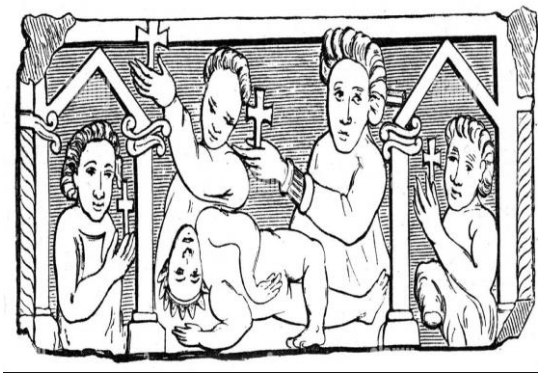

أنموذج (5)
طبعة خشبية منقولة
عن نحت جداري
1433م
الفنان مجهول
من مخطوطة ايرلندية
مكتبة شستر بيتي \ايرلندا

هذا العمل الفني مؤسس على فكرة الخطاب الديني البسيط الموجه للمواطنين من عامة الشعب البسطاء في القرون الوسطى فهو عبارة عن رسالة دينية بالدرجة الأولى ذات وظيفة تبشيرية توجيهية محددة ترتكز على نسق فني اختزالي مهمته الأساسية إبلاغ محتوى ديني عقائدي دون الدخول في تفاصيل تصويرية مبالغ فيها من ناحية الحركة والتعبير والمعالجات التقنية الخاصة بالحفر على خامة الخشب ، فهو يصور أربعة شخوص يرفعون الصلبان فوق جسد شخص عاري ممدد على طاولة مرتفعة والجسد ملتوي بطريقة غريبة غير منطقية حيث يستقر الرأس جانبيا على الكتفين وقد تناثر شعره بشكل خصلات متشعبة وتلتوي الأذرع اللينة وكأنها أجزاء رخوة فيما تنطوي الساق اليسرى على الساق اليمنى بطريقة عجيبة وتلتوي القدم فيها باتجاه معاكس للكاحل فهذه التغيرات تشير إلى مفهوم التشنجات التي تصيب الشخص الممسوس عند علاجه ، ويرمز الفنان إلى تفاصيل المكان من خلال الأعمدة المزخرفة المرتفعة ذات القواعد الضخمة والتي تحيط بمداخل مدببة على شكل مثلثات من الأعلى ، وحاملي الصلبان الأربعة تظهر تصفيفات شعرهم بطريقة الخصلات المطوية نحو الأعلى كما هو شائع في تقاليد الرهبان الصغار في القرون الوسطى وهم يرتدون ثيابا واسعة فيما يكتفي الفنان بحفر خطوط كثيفة أفقية متوازية في خلفية الطبعة للإيحاء بعمق المكان ، وفكرة الطبعة الخشبية مأخوذة من الأعراض التي

تظهر على الناس المسكونين بالجن حيث يسيطر الجن على أجسادهم ويقومون بتحريكها في اتجاهات مستحيلة للتعبير عن قوتهم وتمكنهم داخل الجسد البشري وبالتالي صعوبة إخراجهم منه ، ثم يضع الفنان رموز الصلبان المرفوعة في وجه الجسد المسكون بالشياطين لأنها ذات قدرة مستمدة من العقيدة المسيحية تسمح لها بكبح قوى الشيطان وترعبه وتدفعه للخروج والتخلي عن الجسد الإنساني ، فهذه الرسائل الفنية على بساطتها تكون ذات اثر نفسي وروحي إيماني كبير ومهم بالنسبة لكثير من الناس المؤمنين بقوة الخالق القدير ومكانة السيد المسيح (ع) العظيمة .

الفصل الرابع : نتائج البحث

أولاً: تميزت معظم الطبعات الخشبية للعصور الوسطى بالإيحاء بوجود البعد الثالث والعمق المكاني وتجسيم التفاصيل عن طريق الظلال في شكل خطوط متجاورة واستغلال المساحة لكراهية الفراغ في العمل الفني . كما في أنموذج (1، 2، 3، 4)

1- تسعى الكنيسة لغرس أفكار التلبس الشيطاني في عقول الناس لإبعادهم عن الرذيلة والخطايا بوصفها وحي شيطاني يجعل الإنسان يخسر نفسه أمله في الخلاص الأبدي عند الحساب إذا تبع ملذاته وأهوائه في الحياة الدنيا .(كما في مجمل عينة البحث)

2- الطبعة الفنية هي تحويل فني إبداعي لفكرة خيالية إلى واقع تصويري ملموس ذو تأثير كبير على نفوس وأذهان الناس يثير الصدمة والخوف وينتهي بحالة من التطهير الروحي وشفاء الممسوسين كما توثق أساليب التعذيب والضرب التي يمارسها الكهنة على المرضى أو المجانين العاديين . كما في أنموذج (2، 3، 4)

3- يجري تصوير خروج الشيطان من فم الممسوس بدون ضرب وتعذيب ليؤكد عظمة الكنيسة وهيبة المكان المقدس وجماليات الأزياء الكنسية وعظمة المؤسسة الدينية المسيحية في القرون الوسطى . كما في أنموذج (1، 3، 4)

ثانياً: يطير الممسوسين عن الأرض وتتشوه أجسادهم وتنطوي أعضائهم في حركات متشنجة تعبر عن قوة وسيطرة الشياطين على الجسد ويصور الشيطان بقرون وصفات بشعة مخيفة ويخرج من الفم مصحوبا بدخان كثيف في حدث مرعب للناظرين . (كما في مجمل عينة البحث)

1- اهتم فنانو العصور الوسطى برسم ملامح البابا المعبرة عن الإيمان وملامح المجنون المضطربة ومشاهد موت الممسوسين جراء التعذيب وملامح الهلع على المتفرجين الحاضرين لمشاهدة الصراع القوي بين الإيمان في مواجهة الكفر . كما في أنموذج (2، 4)

الاستنتاجات :

1- تمثل مرشة الماء المقدس والخبز والخمر هي أدوات معالجة المتلبسين بالشياطين إضافة إلى الضرب والتعذيب والكوي بالنار والحوارات الطويلة مع الشيطان والتي قد تنتهي بالحرق أو القتل لإنهاء الشيطان المتمسك بالجسد وإنقاذ الروح النقية .

2- الطبعات الخشبية خطاب ديني واضح موجه لعامة الشعب البسطاء في القرون الوسطى ذو وظيفة تبشيرية توجيهية لإبلاغ محتوى ديني عقائدي بلا تفاصيل معقدة على الفكر .

3- يتم تمثيل الأعمدة المزخرفة والمداخل المدببة أو المقوسة عن طريق حفر خطوط كثيفة أفقية متوازية في فضاء الطبعة للإيحاء بتفاصيل المكان بطريقة إشارية .

5- تم انتاج طبعات ملونة من نفس الموضوعات المتعلقة بعلاج الممسوسين وطرد الرواح الشريرة حملت معالجات تقنية أكثر تقدما وجهودا فنية اكبر .

المصادر والمراجع

1- احمد عطية الله : دائرة المعارف الحديثة : موسوعة عامة في العلوم والآداب والفنون،مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1975.

2- احمد محمد محمود سليمان : قوالب طباعية مستنسخة من بصمات خامات متنوعة لتحقيق قيم تشكيلية،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية الفنية،جامعة حلوان ،1995.

3- الاحمد، سامي سعيد :معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور،ملمة المؤرخ العربي،العدد5،بغداد، 1975.

4- أرسطو : فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2019.

5- إسماعيل سراج الدين:وعاء المعرفة من الحجر إلى النشر المباشر،مكتبة الإسكندرية،جامعة فرجينيا ،أمريكا ، 2007.

6- اقبال بنت محمد باصمد: نشأة التنصير وجهود الفاتيكان التنصيرية،مجلة الدراسات العربية،مجلد 35،العدد10،جامعة المنبا،مصر،2017.

7- انجيل متى : ترجمة وتحقيق لجنة لكتاب المقدس،دار المعارف، مصر، 1998.

8- ايشو جورج: المعمودية والتطهير في الفكر المسيحي، مطبعة الكنيسة الشرقية، القاهرة،2021.

9- بربارة، فؤاد جرجي :الأسطورة اليونانية،الهيئة العامة السورية للكتاب،ط2،دمشق،، 2014.

10- البهجي ،إيناس حسني:تاريخ أوربا في العصور الوسطى،مركز الكتاب الأكاديمي،الأردن ،عمان،2017.

11- الحسيني اياد حسني عبد الله: فن التصميم , ج2,وزارة الثقافة, الشارقة ، 2008 .

12- حفناوي بعلي: الترجمة وجماليات التلقي المبادلات الفكرية الثقافية،دار اليازوري،عمان، 2018.

13- الرفاعي ، عبد الجبار :معجم المطبوعات العربية في إيران، وزارة الثقافة والإرشاد،سوريا ، دمشق، 1993.
14- السعدي ،حسين عليوي عبد الحسين:الشيطان آلو والشيطانة اردات ليلي في معتقدات بلاد الرافدين، مجلة الآداب ،جامعة الكوفة، العدد124، العراق، 2018.
15- سيد رشيد احمد : التطور التاريخي وطرق التدريس: لفن النسيج وطباعة المنسوجات والسجاد،مطبعة دار التأليف،القاهرة ، 1966.
16- طربيه، جيزل فرح: التنجيم والعرافة من وجهة نظر الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، 2004.
17- عبد اللطيف سلمان: المرجع في تاريخ وتقانات فن الحفر والطباعة في العالم ، ج1، منشورات جامعة دمشق، سزريا،2016.
18- فاتن شوقي قرني حمودة:استحداث قوالب خشبية في صياغات تعبيرية لعناصر الفن البدائي كمدخل لإثراء التطبيقات الطباعية في التربية الفنية، رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية التربية الفنية، جامعة حلوان ، 2011.
19- فارنتن بنيامين:العالم الإغريقي. ترجمة أحمد شكري،مجلد2،دار النهضة المصرية،القاهرة،1948.
20- فائز ترحيني:الدراما ومذاهب الأدب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،القاهرة،1988.
21- الفراهيدي الخليل بن احمد:العين،تحقيق مهدي المخزومي ،ج4،حرف الهاء،دار الهلال،مصر،1972 .
22- فيليب كامل، أسلحة الله لدمار إبليس، مطبعة الكنيسة القبطية، القاهرة، 2012.
23- القمص ، ميخائيل جرجس: الملائكة الأخيار والأشرار،ط2، مطبعة الكنيسة القبطية ، القاهرة، 2010.
24- كامل محمد محمد عويضة: بوذا والفلسفة البوذية ، دار الكتب العلمية،بيروت، 1994.

25- كولرهانسصاند: مدخل إلى فلسفة الدين. ترجمة فتحي المسكيني، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ،الرباط،2017.
26- مجدي صادق :إخراج الشياطين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.
27- منصور احمد : مطبعة بولاق، مكتبة الإسكندرية،جامعة فرجينيا،أمريكا، 2005.
28- ناظم عباس: رشيد الهجري: عصره - علمه – استشهاده ، مطبعة أكاديمية الكوفة، العراق، 1996.
29- نخبة فقهاء: موسوعة المصطلحات الإسلامية،ج6، مركز رواد الترجمة ، السعودية ، 2020.
30- اليسوعي، الأب صبحي حموي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، 1994.
31- https://www.youm7.com/story/2015/11/28/ الراهب ثيماوثوس يكشف أساليب الكنيسة في طرد الجن.
32- Moser Barry:Wood engraving, David,R,Godine publishers , Boston , U.S,A , 2006,p10
33- Margaret Macnair Stokes;Early Christian Art in Ireland, National Museum of Ireland,ireland,1928,p27.